

تمهيد:

نتيجة للتقدّم العلمي والتكنولوجي السريع الذي اجتاحت العالم ، شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين ظهور القنوات الفضائية وانتشارها على نطاق واسع ، مما أدى إلى تحوّل العالم إلى قرية كونية صغيرة تربطها شبكة اتصالات واحدة عبر الأقمار الصناعية، كما تنامت قوّة الإعلام الفضائي ، وزادت المنافسة بين القنوات الفضائية على استقطاب المشاهدين أمام الأجهزة المرئية ، وذلك من خلال ما تبثّه من برامج علمية وثقافية وترفيهية وأيديولوجيات متعدّدة موجّهة إلى المشاهدين باختلاف مراحلهم العمرية.

وتعدّ مرحلة الطفولة من المراحل الحرجة في نمو الفرد وفي تكوين شخصيته، حيث يبلغ تأثر الشخص بالمحيط الخارجي الذي يعيش فيه ذروته، فهو يتعلّم كيفية التّعامل مع آخرين بدءاً بوالديه، ومروراً بتكوين الصّدقات مع أقرانه وانتهاء بالتّعاون مع المثيرات البيئية التي تحيط به، ومن أهمّها في عصرنا الحاضر التّلفزيون والفيديو والحاسوب (عبد الرحمن الشاعر: 1996، ص 52)

إنّ المشاهدة الهادفة عند الأطفال تبدأ في مرحلة مبكرة ، وبما أنّ الأطفال يمضون وقتاً طويلاً أمام شاشات التّلفزيونات فإنّ التأثير يصبح واضحاً وجليّاً،فتنقل إلى الطفل بعض القيم والعادات التي لا يمكن للأسرة أن تتحكّم فيها، وذلك لغياب الرّقابة الأسرية وكذلك كون استعمال هذه الأجهزة سهل وفي متناول الأطفال.

أولاً: الفضايات

1- مفهوم الفضايات:

لقد كان التقدّم في صناعة وإطلاق الصّواريخ فاتحة عهد لبداية البثّ الفضائي والقدرة على حمل الأقمار الصناعيّة المختلفة، فمن المعلوم أنّ الفضايات كغيرها من آليات المعلوماتية، والتّقنيات المتسارعة في التطوّر ، وفي الوقت الذي باتت تختصر المسافات وتقرب البعيد عبر الحدود، فإنّها تعولم الحياة الخاصة وتكسر خصوصية الأفراد وتقوم بتتميط السلوك والتوقّعات وتخلق تركيبية إنسانية منجذبة لكلّ المواد المبتوثة عبر هذه الآليات وبشيء لا يقبل، فالفضائيات أصبحت سلاح للسيطرة الثقافية .

والفضائيات هي القناة التي تحمل الرّموز التي تحتويها الرسالة ، أو بطريقة أخرى هي الدّعمة التّقنية أو مجموع التّقنيات والأدوات التي يتمّ من خلالها نقل المادة الإعلامية لجمهور المتلقّين ، وتعتبر من أهمّ المصادر التي يستقي منها الأفراد المعلومات والأخبار ، فهي سمة العصر (نصرا لدين بوزيان: 2009، ص116)

إنّها وسيلة اتّصال جماهيرية لما تتميز به من قدرة على جذب الانتباه والانبهار والتأثير على الحواس من خلال الصّورة والصّوت، تبتّ مضامين متنوعة تهدف إلى الإعلام والتوعية والترفيه ، وخاصة تدعيم القيم والتعبير عن الأنماط الثقافيّة السائدة في المجتمع الواحد أو المختلف، وبنقلها للعادات والتقاليد يتمّ تعزيز قيم سائدة وقد تقوم بهدم قيم وخلق قيم بديلة (راضية حميدة: 2005-2006، ص 5)

2- مفهوم القناة المتخصّصة:

القناة المتخصّصة تقابل القناة الجامعة أو الشمولية وهي التي تخلّت عن شمولية المضمون والمقصد لتختصّ في مجال برامجي منفرد أو لتوجّه إلى جمهور محدّد. وكلمة مختصّة مشتقة من فعل خصصه ، وفي لسان العرب لابن منظور : "خصّه بالشيء وخصصه أي أفرده بدون غيره".

إنّ القناة المتخصصة هي التي تركّز اهتمامها على فرع واحد من فروع التخصصات التي يهتم بها نوع من الجمهور ، وقد تتولّد جزئيات في التخصص عن هذه الفروع كأن نقول: إنّ قناة ما تهتمّ بالقطاع الثقافي كفرع من فروع التخصصات ، وقد تركّز قناة أخرى اهتمامها على جزء من هذا الفرع .

وفي القناة المتخصصة، قد يتّسع مجال التخصص أو يضيق وفق الاختيار الذي يراد لحدود التخصص، ويمكن تصنيف القنوات المتخصصة حسب إبراز المعطيات التالية:

- قنوات تتوجّه إلى جمهور مقسّم حسب سنوات العمر أو مرحلة مثل قنوات الأطفال.
- قنوات تتوجّه إلى جمهور مقسّم حسب الجنس كأن تتّجه إلى جمهور المرأة.
- قنوات تتوجّه إلى جمهور مقسّم حسب انتماءاته الدينية أو الإيديولوجية.
- قنوات تتخصّص في الاهتمام بهوايات الفرد أو أنشطته الفردية مثل الاهتمام بالرياضة أو الموسيقى .

- قنوات إخبارية وتقتصر مهمتها على الأخبار سواء من حيث إعلام الجمهور بكلّ المستجدات المحلية والدولية أو بتحليلها ومناقشتها والتعليق عليها. (المنصف العياري:2006، ص12)

3-الفضائيات : -الخصائص - الأهداف

1-الخصائص:

يمكن تحديد جملة من الخصائص التي تتميز بها الفضائيات الخاصة ونذكر منها:

- تلبية الاحتياجات المختلفة للموطن العربي تماشياً مع كثرة أعباء الحياة واختلاف مطالب الأفراد وثقافتهم وميولهم ، بحيث لم تعد الرّسالة الإعلامية الموحّدة قادرة على إرضاء رغبات جميع الأفراد.
- يؤدّي التخصص إلى زيادة الإنتاج ووفرتة في جميع التخصصات الإعلامية ، بهدف شغل المساحات الإعلامية لإرسال هذه القنوات.

- إتاحة الفرصة للقنوات المتخصصة لإجادة برامج تنصب حول تخصص واحد، وبهذا يتحوّل العاملون بالقناة إلى أخصائيين ذوي خبرة متراكمة ، تساهم هذه الخبرة في رفع مستوى المنتج الإعلامي.
 - إتاحة أشكال جديدة من الخدمات التلفزيونية المتخصصة مثل خدمات الأفلام السينمائية والخدمات العلمية بنظام التلفزيون مدفوع الأجر.
 - يتيح نظام التفاعل المتّبع في بعض القنوات المتخصصة الفرصة للمشاهد أن يكون طرفاً مشاركاً في العملية الإعلامية ، بدلاً من تلقّي الرسالة الإعلامية بسلبية.
 - تحقيق مبدأ الريادة الإعلامية بخوض تجارب جديدة (هبة شاهين : 2008 ، ص 83)
- ب- الأهداف:**

خدمة المشاهد وتلبية لرغبات الجمهور وحضور على الساحة التلفزيونية العالمية لترويج خطاب عربي مميز، وأصبح استجداء مرضاة المشاهد بكلّ السبيل الهاجس الذي يقضي أكثر من غيره مضجع المبرمجين والمنتجين ويدفعهم باستمرار إلى ابتكار أشكال برامجية تستقطب جماهير غفيرة بإثارة فضولهم.

إنّ استقطاب المشاهدين يعدّ من أوكد اهتمامات كلّ قناة تلفزيونية، سواء استمدت تمويلها من الحكومات أو من القطاع الخاص. وأنّ الحاجة إلى المعرفة هي مسألة فطرية ولا سبيل إلى إهمالها، فهي التي توجّه ميوله ، وهي رغبة تشتدّ كلّما ساعد انتشار التعليم وتعميم الثقافة. (المنصف العياري: 2006 ، ص 45)

وكذلك منها:

- توفير خدمات تلفزيونية تتميز بالجودة والدقة والشمول.
- تلبية حاجيات القطاعات المتنوعة من الجماهير في المنطقة العربية.
- التأكيد على الانتماء الوطني وإعلاء الإحساس بالهوية القومية.
- الحفاظ على النظام القيمي للمجتمع والحفاظ على العادات والتقاليد.

- نشر الوعي السياسي والاقتصادي والثقافي لدى الجماهير ، وحثّها على المشاركة الفاعلة في عملية بناء الوطن.

- رفع مستوى التذوق الفني للجماهير وإرساء القيم العليا للحق والخير والجمال (هبة شاهين: 2008، ص 85)

4- سلبيات وإيجابيات الفضائيات:

أ- سلبيات الفضائيات:

لقد جاءت الفضائيات وكنتيجة لعدم الاستخدام المناسب لها بعدة سلبيات يمكن أن تحطم بناءات وثقافة المجتمع منها:

مشاهدة الأطفال للتلفزيون له تأثير سلبي على ذكائهم فكّما زادت مشاهدة الأطفال للتلفزيون انخفض مستوى تحصيلهم الدراسي.

لقد قارنت الدراسات العلمية التي أجراها بعض العلماء والأخصائيين بين تلاميذ الصفّ السادس الذين جاءوا من بيوت يبت فيها جهاز التلفزيون باستمرار وبين زملائهم الذين يتم تشغيل التلفزيون في منازلهم لوقت أقل، وحين قورنت درجات القراءة لدى هاتين المجموعتين ظهر اختلاف جدير بالاهتمام، فقد كانت درجات ثلثي تلاميذ البيوت المستمرة سنة واحدة على الأقل تحت مستوى الصفّ، بينما فاقت درجات ثلثي المجموعة غير المستمرة مستوى الصفّ، وفي دراسة ثانية ثبت أنّ الأطفال الذين سمح لهم بمشاهدة التلفزيون يومياً لساعات كثيرة في السنوات السابقة لدخولهم المدارس حصلوا على درجات في القراءة والحساب واختبارات اللغة عند نهاية الصف الأول أقلّ من الأطفال الذين كانت مشاهدتهم التلفزيونية قليلة خلال سنوات ما قبل المدرسة ، وعندما ننظر إلى طلاب المدرسة نرى أنّ بعض التلاميذ الذين لا يكملون أداء واجباتهم المنزلية ببساطة فإنّ ذلك هو نتيجة مشاهدة التلفزيونية في كثير من الحالات، إنّ المبالغة في مشاهدة البرامج التلفزيونية تؤدّي إلى إلهاء الأطفال وصرفهم عن إنجاز وظائفهم المدرسية كما أنّ مشاهدة البرامج التلفزيونية

دون أية عملية اختيار وانتقاء من شأنها أن تضعف قدرة الطفل على التمييز وأن تضعف تذوقه الجمالي وبالتالي فإنّ التلفزيون يصبح في الواقع قاتلاً للوقت، وقد تم إثبات تأثير سلبي للتلفزيون على الأطفال الصغار ككل، فإنّ تحت تأثير المشاهدة المفرطة للبرامج التلفزيونية يصبح بعض الأطفال كسالى كما تمت الإشارة إلى الارتباط ما بين الوقت الذي يقضى أمام شاشة التلفزيون وبين عدم التقدّم بشكل جيّد في المدرسة، وبات واضحاً أنّه كلّما زاد الوقت الذي يقضيه الطفل أمام شاشة التلفزيون كلّما زاد خطر تراجعته في التحصيل الدراسي (عبد العزيز موسى ثابت: 2007، ص 2)

- إنّ أفلام الكرتون أقحم فيها الخيال بشكل كبير وأصبحت فيها معاني تمسّ نشأة الطفل وفيها مواد مثيرة وعاطفية تمثّل مواقف العنف والصراع والتي يقلّ فيها عنصر التفكير.
- إنّ كثرة جلوس الطفل أمام القنوات يخلق منه شخصا غير مبال وكسول وتتسم شخصيته بالبلادة والخمول علاوة على ما نلاحظه عليهم من السمنة نتيجة تناول الأطعمة أمام التلفاز وقلة الحركة.

- يعيش الطفل وسط صراع بين الواقع والخيال ، بل ينمو بداخله الخيال المريض نظرا لما يراه أمام عينيه من حروب وقتل ، كما أنّ معاملته اليومية ستتسم بالعنف ويظهر ذلك مع أقرب المقربين إليه في البيت.

- يمتصّ طاقة الطفل ونشاطه، فإننا نرى الطفل بعد مشاهدة طويلة لا يستطيع المذاكرة ولا الحفظ ولا الفهم ولا الاستيعاب. (ريان سليم بدير: 2007، ص ص 52-53)
ويمكن حصر بعض التأثيرات الاجتماعية السلبية للفضائيات على الطفل فيما يلي:
- شيوع إيقاع التلفزيون بين الأطفال :

إنّ ما تبثّه هذه القنوات من برامج وأعمال في قوالب فنية مثيرة تجعل الأطفال يحسّون أنّ الحياة مليئة بالتنافس والصراع والإجرام والحركة العجلة والموت ، وتبدو لكثير من

الأطفال وكان العالم الذي يشاهدونه على الشاشة هو مرآة صغيرة للعالم الحقيقي مما يجعلها تتسلل إلى نفوس الأطفال وبالتالي إلى واقع حياتهم فتبدو إيقاعات حركتهم عنيفة .

-تبلور انطباعات عن أفكار وأشخاص وأحداث:

ما تبثه هذه القنوات سيتيح للأطفال تكوين انطباعات كثيرة عن المجتمعات والأفراد والموضوعات المختلفة ، ومن هذه الانطباعات ما لا يمكن فيما بعد تغييرها بسهولة إلا في حدود، وهذه الانطباعات تتشكل من منظور مختلف عما هو سائد في بيئة الطفل، حيث يقود إلى الإعجاب وهو ما أطلق عليه بالانبهار والذي يقود إلى الشعور باليأس والاستكانة.

-تساع الهوة بين ثقافة الأطفال والثقافة الاجتماعية:

مع أن ثقافة الأطفال هي ثقافة فرعية إلا أنها تشترك مع ثقافة الراشدين في عناصر متعدّدة، فإن دور الأسرة بدأ في طريقه إلى الانحسار فيما يتعلّق بالتنشئة الاجتماعية ، وقد وجدت في دراسات ميدانية أن التلفزيون يؤثر تأثيراً قوياً عندما تقدّم لهم القيم في شكل دراما، وهم يكونون أكثر استعداداً لقبولها عندما لا يكون بإمكانهم كأطفال الحصول على معلومات من الأسرة في الموضوع.

وعليه فإنّ الأطفال أنفسهم وخاصة في مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة يحسّون أنّ المثيرات التي تبعثها الأسرة في عملية التنقيف تختلف إلى حدّ كبير عن المثيرات التي يبعثها التلفزيون الوافد ، وقد يقود هذا بالطفل إلى التقليل من أهمية المثيرات الأسرية.

-تقلص العلاقات الاجتماعية للأطفال :

يقود التعرّض المستمر للتلفزيون إلى انصراف الأطفال جزئياً عن الإسهام فعليا في حركة العلاقات الاجتماعية خارج حدود الجماعات الاجتماعية ، حيث يبعدهم انشغالهم بالتعرّض عن اللقاءات مع الآخرين وعن اللعب وتبادل الآراء ، وزيارة الأصدقاء وممارسة الرياضة ، وغير ذلك من الطرق التي تعدّ أساسية لإنماء الأطفال اجتماعيا.

ويوفّر التلفزيون موضوعات تشكّل مدارا للحديث بين الأطفال في اتصالهم المواجهي إذ كثيرا ما يتداول الأطفال في موضوعات ترد في الأفلام والمسلسلات والأخبار والمواد التلفزيونية الأخرى، فهو يرسم موضوعات لأحاديث فيما بينهم خارج فترات التعرّض ممّا يزيد من قوّة تأثيرهم.

-انشغال عن اللعب:

لمّا كانت القنوات التلفزيونية تتمتع بمزايا تجذب الأطفال ، فضلا عن تنوع موادها وتوفّر فرص الاختيار أمام الأطفال ، واستمرار البث في جميع ساعات اليوم ، لذا فإن هناك احتمالا أن يقود تزايد ساعات تعرّض الأطفال لهذه القنوات إلى انصراف الأطفال لهذه القنوات والابتعاد جزئيا عن ممارسة أنشطة الترويح، وخاصة نشاط اللعب ، رغم أنّ الترويح يعدّ حاجة تربوية ذات أهمية كبيرة ، ويتاح للطفل من خلاله تنمية قدراته الابتكارية وتعبيره عن نفسه واكتشاف وإظهار شخصيته وما يكمن فيها من طاقات ، وللترويح وظائف اجتماعية من بينها حفز الطفل على الانسجام مع القواعد المألوفة في الجماعات الاجتماعية والتأقلم مع أنماط السلوك المقبولة والتكيف مع عناصر الضبط الاجتماعي. (هادي نعمان الهيتي:2008،ص ص120-121)

كما يمكن لهذه الفضائيات أن تؤثر ببرامجها على تكوين الأطفال على أساس أنّ هذه البرامج التي يشاهدها الطفل قد تؤدي إلى عزلة وانفصال عن الواقع والهروب من مواجهة مشاكل الحياة، كما تؤدي هذه البرامج إلى الخلط بين الوهم والواقع ومن ثمّ يفقد الطفل ميزة الحكم الدقيق على الأشياء وتقدير أهميتها أو عدم أهميتها ، كذلك البرامج الخيالية تنمّي في الطفل الميل إلى العدوان بدلا من امتصاص طاقة الشدّة والعنف داخله.

وفي هذا الصدد يقول " مروان كجك " : "إنّ التلفزيون يجعل الإنسان يطير في الهواء ويمشي فوق الماء وتحتّه ، ويخترق الجبال ، فإذا اقترب من حصن اقتحمه ، وإن صادف جبلا اخترقه ونفذ من جانبه الآخر ، سيره أسرع من السحاب ، وبصره يخترق كل حجاب ،

يبني قلعة في لحظة ويجعلها قاعا صفتها في طرفة عين" (محمد جاد أحمد: 2008، ص 108-109)

وحصرت الباحثة "فوزية عبد الله العلي" مجموعة من السلبيات التي تؤثر على الطفل من أربعة جوانب أساسية على النحو التالي:

- الجانب الجسمي والعقلي: يؤكد علماء النفس والأطباء أنّ الجلوس أمام التلفزيون لساعات طويلة قد يهدّد صحتهم البدنية والعقلية ، ويؤثر في حواسهم البصرية والسمعية، ويحدّ من حركتهم.

- الجانب الاجتماعي: حيث يقتل التلفزيون وقت الأطفال ، ويبعدهم عن ممارسة هوايتهم في القراءة واللعب والتسامر مع الأهل والأصدقاء.

- الجانب النفسي: حيث يؤثر التلفزيون في الأطفال أكثر من الوسائل الإعلامية التقليدية ، والمعروف أنّ الطفل يكون مشدودا بالصّور التي يراها، وإن كان يخاف هذا التأثير أحيانا الشّعور بالدفء العائلي.

- الجانب التربوي: حيث يروج التلفزيون أشكالاً من التربية الموازية التي تلحق جزءاً من الضرر بدور المؤسسة التربوية بما يعرضه من أفلام عنف وجنس لها الآثار السلبية المدمرة على الطفل.

ب- إيجابيات الفضائيات:

ومن أهم الآثار الإيجابية على الطفل مشاركتها في تنشئة الطفل اجتماعياً إلى جانب الأسرة والمدرسة ، ويمكن حصر مجموعة من الآثار الإيجابية كالتالي:

- يعمل التلفزيون على تكييف الجانب الاجتماعي في الطّفّل عبر تفاعله مع الآخرين والحديث معهم.

- يصقل وجدان الطّفّل وأحاسيسه بما يتناسب ورغباته من ترفيه وتسلية ، ويدرّب حواسه منذ صغره على الإصغاء والربط والتخيّل .

- يوسّع من خبرات الطفل بوصفه مصدرا للمعرفة يمدّه بالقيم المعرفية والسلوكية ، وينقل له الثقافة والمعرفة من خلال الوظائف التي يقوم بها هذا الجهاز وهي التوجيه والتنقيف والتعليم والتربية.
- ينمّي الملكات العقلية والفكرية لدى الطّفل ويشبع لديه حبّ الاستطلاع من خلال برامج الثقافية .
- يثير الخيال الواسع للطفل ، ويفتح أمامه من خلال ما يقدّم من صور وموسيقى وتمثيلات وألوان زاهية وجذّابة أفقا رحبة من الخيال تنقله خارج البيت والشارع والمدرسة.
- يزوّد الطفل بالخبرات والمهارات التي تدفعه إلى إتباع العادات الصّحية في كلّ نواحي سلوكه اليومي(فوزية عبد الله العلي:2002 ، ص ص84-85)
- و مشاهدة أفلام الرسوم تفيد الطفل في عدّة جوانب من أهمّها كذلك:
- تنمي خيال الطّفل وتغذّي قدراته إذ تنتقل به إلى عوالم جديدة لم تكن تخطر له ببال، كما تعلّمه أساليب مبتكرة متعدّدة في التفكير والسلوك.
- تزوّد الطفل بمعلومات ثقافية منتقاة وتسارع بالعملية التعليمية ، فبعض الرسوم تسلّط الضوء على قضايا علمية معقدة ، كعمل أجهزة جسم الإنسان المختلفة بأسلوب سهل وجذاب الأمر الذي يكسب الطفل معارف متّقدة في مرحلة مبكرة.
- تقدّم للطفل لغة عربية فصيحة غالبا، لا يجدها في محيطه الأسري ممّا يبسرّ له تصحيح النطق وتكوين اللسان وتجويد اللغة ، حيث بإمكانه أن يتقن اللغة قبل الدّخول المدرسي.
- تلبيّ بعض الحاجيات العاطفية و النفسية وتشبع له غرائز عديدة مثل حبّ الاستطلاع، فتجعله يستكشف في كلّ يوم جديد.
- تزويد الطّفل بمعلومات دينية وخاصة أفلام قصص الأنبياء .
- أمّا من الناحية التربوية تقدّم للطفل خبرات حسّية غنية ممّا تجعله يميّز بين الأصح والخطأ والخير والشرّ.

- تقدم للطفل جوًا من المتعة والسرور والترفيه وتجعله يعيش في عالم مليء بالخيال والأحلام، فتجذب الأطفال وتصرف شغفهم وإزعاجهم عن الآباء (ريان سليم بدير: 2007، ص 158)

ويمكن القول أنّ هذه الفضائيات تسمح بالتعرّف على مختلف فروع الثقافات العالمية ، كما تنقل المعارف والمعلومات والأفكار والخبرات وأحدث الاتجاهات التي تساهم في رفع مستواهم الفكري والثقافي ، وتعمل على تهيئة عقولهم وأذهانهم ووجدانهم، وتساعد في صياغة بنائهم وتكوينهم وصقله ، كما تنمّي وتدعم قدراتهم ومهارتهم ، وتوسّع أفقهم وتساعد في خلق شخصياتهم المرنة والقادرة على الفهم والعطاء (عبد الباسط عبد الجليل: 2000، ص 160).

ثانياً: الفضائيات العربية.

1- نشأة وتطور الفضائيات العربية:

يشهد العالم حالياً مرحلة جديدة من التطور التقني ، امتزجت فيه نتائج وخلصات ثلاث ثورات هي : ثورة المعلومات وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تقنية وسائل الاتصال الحديثة ، وأخيراً ثورة الحاسبات الالكترونية التي امتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها ، وقد أدت الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال المعلومات والاتصال إلى تعدد وسائل الإعلام وتزايد قدرتها على جمع المعلومات وتوزيعها ، ولم يعد دورها يقتصر على نقل المعلومات فقط ، بل أصبحت تلعب دوراً مهماً في رسم الصّور للشعوب والدّول والمنظّمات على حدّ سواء (المنصف العياري: 2006، ص 13)

وفي عصرنا الحديث ومع التطور المتسارع والمستمر للأقمار الصناعية في مجال الإرسال والاستقبال أصبحت القنوات الفضائية حقيقة لا يمكن تجاهلها على الرغم من احتدام النقاش حول آثارها ، واختلاف الآراء وانقسامها بين معارض للغزو الثقافي من خلال هذه القنوات ، خوفاً على الهوية الوطنية ومؤيِّداً للانفتاح الثقافي على العالم ، وسعيًا وراء مواكبة

عصر البثّ الفضائي والتأقلم مع اقتصاد السوق اضطرتّ الأقطار العربية إلى تجاوز نظام الامتياز واحتكار البثّ الإذاعي والتلفزيوني تاركة للقطاع الخاص العمل في هذا المجال ، فظهرت إلى الوجود فضائيات تابعة للحكومات من حيث التأسيس لكنها تتمتع باستقلالية كاملة على أصعدة رسم السياسات والخطط والتنفيذ البرامجي والمالي ، وأخرى تعود إلى قطاع خاص يقوده رجال مال وأعمال وفي كلا الحالتين كان الهمّ الأوّل ليس ما يقدم إلى للمشاهد وإنما حساب مقدار الربحية التي تجنيها هذه الفضائيات التي ركّز معظمها على الجوانب المرتبطة بالتسلية والترفيه ، وقد عمدت العديد من هذه الفضائيات إلى (استغلال) المشاهد في برامج المنوعات المباشرة وتحمله تكلفة مالية كبيرة من خلال الاتّصالات التي تجريها من مقرّ الفضائية نظير (لا شيء) معرفي أو أية معلومة مفيدة أو نافعة ، هذا إضافة إلى جرعات الإحباط التي يصاب بها المشاهد بسبب سعي هذه الفضائيات إلى محاولات تغيير قناعاته التي يؤمن بها فيما يتعلّق بالسياسة والدين والمجتمع.

وفي عالمنا العربي تعتبر الفضائيات العربية التي بدأت انتشارها أواخر القرن العشرين ثورة في عالم التكنولوجيا في عصر المعلومات ، حيث غيّرت كل المفاهيم تغييراً جذرياً ، فما كان يراه بالأمس بضعة آلاف ، أصبح اليوم عدد من سكان الكرة الأرضية يقدر بالمليارات ، وأصبح التنافس بين الفضائيات العربية يمثل ظاهرة صحيّة بالنسبة للمشاهد العربي وتجتهد كل قناة تلفزيونية فضائية في جذب عدد أكبر من المشاهدين إليها ، لأنّ ذلك يعود عليها بالفائدة الاقتصادية.

ويرجع تاريخ الفضائيات العربية إلى (أواخر عام 1990 والذي شهد انطلاق أول قناة فضائية عربية وهي القناة الفضائية المصرية الأولى) (101) التي بدأت بثّها في 22 ديسمبر عام 1990 والتي كانت البداية لانطلاق قنوات فضائية عربية عديدة ومتنوّعة ، سواء كانت قنوات حكومية أم قنوات خاصة بل إنّ الملفت للنظر هو تزايد عدد القنوات العربية بوضوح في السّنوات الأخيرة ، فبعد أن كان يقدر عددها بعشرين قناة في منتصف

التسعينيات تجاوز عددها الآن المائة بكثير ، الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة المنافسة بين الفضائيات العربية أو بين الفضائيات العربية ، والأجنبية ووفقاً لإحصاء اتحاد الإذاعات العربية يبلغ عدد القنوات الفضائية العربية أكثر من 140 قناة ، وقنوات أخرى في طريقها إلى الانطلاق بمعدل 4 أو 5 قنوات جديدة منها 75 قناة عامة و 65 متخصصة : أطفال ، رياضة ، أخبار، سينما، دراما ، موسيقى ، منوعات ، ثقافة ، تعليمية، خدمات ، إعلامية ، أفلام وثائقية.

إنّ هناك جوانب إيجابية عديدة في أداء الفضائيات العربية وفي مقدمتها أنها أتاحت توفير عدد متنوع من الاختيارات أمام المتلقي العربي في ضوء انتشار الفضائيات المتخصصة التي تخدم جهود التنمية في الوطن العربي ، كما (أن عددا من هذه الفضائيات مدّت الجسور مع المشاهد العربي في الخارج وأوصلت صوت العالم العربي إلى الجمهور الخارجي) والمطلوب من هذه الفضائيات العربية أن تأخذ دورها الكامل والإيجابي وأن يكون لها موقعاً في الفضاء الإعلامي العالمي لتتمكّن من مواجهة مخاطر ما تبثّه الفضائيات الأجنبية من مضامين وأفكار مغايرة للقيم والأخلاقيات العربية وأن تبعد هذه الفضائيات عن محاكاة المضامين الأجنبية بمضامين عربية قد تحقّق في شكلها العام إشباعا لاحتياجات الجمهور العربي من المواد والبرامج المتنوعة إلا أنّ هذا الإشباع قد يتسرّب من خلاله العديد من المواد والبرامج الهابطة والمضامين الفاسدة(حسن علوان:2007-2008،ص ص46-47) فقد انتقل العالم العربي في فترة التسعينيات إلى التوجّه نحو التضخّم والفوضى في هذا المجال أي أكثر من 115 قناة فضائية ، حيث أصبحت كل دولة تدير قناة فضائية خاصة بها أو أكثر ، منفردة أو بالتعاون مع دول غربية ، ودون أن تضمن تغطية رسالية وطنية أو محلية مقبولة لمادتها الإعلامية طيلة الأربع والعشرين ساعة من البثّ اليومي، ممّا اضطرّ اتحاد الإذاعات العربية " للاجتماع بتونس عدة مرّات منذ 1994 لبعث التنسيق العربي من

جديد وتنظيم الجهود العربية في استغلال الاتصالات الفضائية. (فضيل دليو: 2003 ص111)

لقد فرض الواقع التكنولوجي الجديد بصماته على العالم العربي فحذا حذو الدول الأخرى وأنشأ المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عرب سات) والتي تولت إطلاق أربعة أجيال من الأقمار الصناعية ، بالإضافة إلى إنشاء العديد من القنوات الفضائية العربية، حيث أصبح لكل دولة قناة فضائية واحدة على الأقل ، كما أن بعضها يبث عدة قنوات فضائية. أ- نشأة المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية(عرب سات):

برزت فكرة استخدام قمر صناعي عربي لأول مرة في إطار مؤتمر وزراء الإعلام العرب سنة 1967 ودعوا إلى ضرورة الاستعانة بالتكنولوجيا ، ولقد تبنى اتحاد إذاعات الدول العربية العودة إلى هذه الفكرة ، وفي سنة 1973 بدأ التبادل الإخباري والتلفزيوني العربي، وأعقب ذلك قيام الجامعة العربية بإنشاء وحدة اتصال فضائي بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمواصلات، ولم تسفر تلك الجهود عن نتائج ملموسة حتى تم إنشاء المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية(عرب سات) في 14 أبريل 1976. (هبة شاهين:2008،ص40)

ب- ماهية المؤسسة:

المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية هي منظمة متخصصة في مجال الاتصالات الفضائية وعلومها وتقنياتها ، وتتمتع المؤسسة بشخصية قانونية اعتبارية مستقلة ، ولها في نطاق أهدافها حق التعاقد وإبرام الاتفاقيات وتملك الأموال المنقولة والحقوق المعنوية والتصرف في هذه الأموال والحقوق .

ج- أهداف المؤسسة وأنشطتها:

ومن بين أهدافها وأنشطتها ما يلي:

- تشغيل واستثمار قطاع فضائي عربي ، سواء على أساس الإنشاء والتملك أو على أساس الاستئجار وفق ما تراه مناسبا.

- تراسل المعطيات ونقل الصّور فيما بين الأعضاء بواسطة الشبكة الفضائية العربية .
 - ترتيب النقل التلفزيوني والإذاعي بين الأعضاء بواسطة الشبكة الفضائية العربية
 - وضع استعمال القنوات المخصّصة للتلفزة والإذاعة بما يحقّق المطالب المحلية والجماعية
 - تقديم خدمات استشارية في مجال الاتّصالات الفضائية.
 - استثمار أموالها بما لا يتعارض مع أهدافها.
- 2- دوافع إنشاء الفضائيات العربية المتخصّصة:**

ساهم تطوّر الحياة واتّساع مجالات المعرفة وانتشار التّعليم وتعميم الثقافة والتقدّم في مسالك التنمية الشاملة في ظهور الحاجة إلى إعلام تلفزيوني أكثر تعمّقا في تحليل الظواهر وأكثر إحاطة بالأحداث وأقدر على نشر المعرفة على أوسع نطاق ، ممّا فسح المجال أمام القطاع الخاص للاستثمار في مجال الصناعة التلفزيونية، وتوافق تطوّر المجتمع وبروز الرّغبة احتياجاته من خلال إعلام تلفزيوني متخصّص ، مع تطوّر تكنولوجي سمح ببعث وتضاعف عدد القنوات العربية التلفزيونية، وأحدثت هذه التغيّرات التكنولوجية انقلابا في المفاهيم والنّظم والقيم التي تضبط العلاقات بين الأشخاص وبين المجتمعات وبين المؤسّسات وبين الدول وحتى بين الحضارات .

كما ساهم في ظهور القنوات المتخصّصة هو تراكم المخزون السّمي البصري ، الذي كان سندا للعوامل الأخرى المتمثّلة في تطوّر الإعلام والمجتمع والتكنولوجيا (المنصف العياري:2006،ص 14)

كذلك إنشاء القنوات العربية المتخصّصة جاء تقليدا أو محاكاة لما هو سائد في العالم ، ورد فعل متسرّع للتواجد المكثف للقنوات الأجنبية ، فلم تأخذ الفضائيات العربية حظّها من الدّراسة المتأنّية الواعية لمدى جدواها وطبيعة أهدافها وحاجات جمهورها المستهدف واهتماماته ، ومن هنا فإنّ المنتبّع لمعظم القنوات الفضائية العربية لا يجد فلسفة محددة تحكّم أداء عملها ، أو أهدافا استراتيجية تسعى إلى تحقيقها ، كما أنّ معظم هذه القنوات لا تقوى

على ملء ساعات إرسالها إلا بإنتاج مستورد لا يعبر عن هويتها ولا يعكس ثقافة المجتمعات التي تمثلها .

ومن جملة الدوافع ما يلي:

- توفير خدمات تلفزيونية متخصصة تتميز بالجودة والدقة والشمول.
- الحفاظ على النظام القيمي للمجتمع والحفاظ على العادات والتقاليد.
- نشر الوعي السياسي والاقتصادي والثقافي لدى الجماهير وحثها على المشاركة الفاعلة في عملية بناء الوطن .
- رفع مستوى التذوق الفني للجماهير وإرساء القيم العليا للحق والخير والجمال .
- تنمية المواهب وإعطاء الفرصة لجيل الشباب المبدعين .
- نشر الوعي الرياضي والصحي وتوعية الشباب وتقديم النماذج الرفيعة التي تعتبر قدوة للأجيال الجديدة.
- فتح الآفاق أمام الأطفال العرب وتعزيز تواصلهم مع بيئتهم العربية وما يحدث في أرجاء العالم.

- تطوير مهارات الأطفال ، والاستفادة من وقت الترفيه لتلقي المعلومة المفيدة بأسلوب

مبسّط ومحبّب في إطار مفهوم التربية الترفيحية.(هبة شاهين:2008، ص ص84-85)

3-توصيف القنوات العربية المتخصصة:

إنه عصر ثورة المعلومات والذي أصبح حقيقة طاغية في مختلف حياة الإنسان المعاصر كما أصبح قوّة مؤثرة لا يستهان بها في كلّ مجالات الحياة في مختلف المجتمعات ، ومنها القنوات التلفزيونية عامة والقنوات الفضائية على وجه الخصوص ، والتي أصبح لها دورها الواضح في تكوين الصّور الذهنية عند الصّغار والكبار عن الواقع والأحداث والمواقف حتّى أنّها تؤثر في الطرائق التي ندرك بها الأمور ، كما تؤثر في اتجاهاتنا ومواقفنا (محمد عوض إبراهيم:1995،ص 227)

تعتبر مرحلة التخصص إحدى سمات عصرنا الحالي ، وذلك بعد مرور وسائل الإعلام في تطور لمخاطبة الجماهير بعدة مراحل هي:

- مرحلة الصقوة والتي يمثل جمهور وسائل الإعلام الأفراد الأكثر ثراء وتعلّما .
- مرحلة الحشد وتكوّن جمهور وسائل الإعلام من جميع قطاعات المجتمع .
- مرحلة التخصص والتي يسعى الإعلام خلالها لإرضاء احتياجات قطاعات جماهيرية خاصة ومحدّدة.

- مرحلة التفاعل حيث يتزايد التحكم الانتقائي من جانب أفراد الجمهور من حيث نوعية المعلومات التي يتمّ اختيارها.

وبالاستفادة من الطفرة التكنولوجية الهائلة نشأت القنوات التلفزيونية المتخصصة تماشيا مع اختلاف احتياجات الجمهور ، وبظهور القرية الكونية تلاشت الحدود وتوفّرت المعلومات وظهر عصر التخصص.(هبة شاهين:2008، ص 81)

ولقد تمّ توزيع القنوات المتخصصة إلى الفئات التالية:

- القنوات الإخبارية: بث الأخبار في مواعيد قارة للنشرات والمواجز والبرامج الإخبارية.
- قنوات الموسيقى والمنوعات: وهي التي تبثّ مواد موسيقية تركّز على الأغاني المصوّرة العربية والأجنبية.
- قنوات الدرامية العربية والأجنبية: تبثّ مسلسلات ومسرحيات وأشرطة سينمائية عربية بالأساس أو مدبلجة أو أجنبية.
- قنوات الرياضة: تهتم بنقل التظاهرات العربية والعالمية وخاصة مباريات كرة القدم وغيرها من الرياضات.
- قنوات التعلّم والبحث العلمي: تعرض برامج تعليمية موجهة إلى الطلبة والتلاميذ من مختلف المستويات .
- قنوات الأسرة والطفل والمرأة: توجّه خطابها إلى الأسرة بصفة عامة.

- القنوات الإيديولوجية والدينية: ملتزمة بنهج عقائدي لا تخرج عنه في كل ما تقدّمه إلى مشاهديها من تبنّي العقيدة أو المذهب أو الخط الإيديولوجي.
- قنوات الخدمات: اهتمت بالموارد البشرية وتنمية القدرات الفردية.
- قنوات تفاعلية: تبتّ الرسائل القصيرة للمشاهدين من أجل التّخاطب بين المشاهدين.
- قنوات الاقتصاد: تنقل الأحداث الاقتصادية والمالية على الساحتين العربية والعالمية.
- قنوات علمية وطبية: عرض برامج صحية وتربوية وأبرز المشاكل الصحيّة التي يواجهها الإنسان (المنصف العياري:2006 ، ص18)



الشكل -3 - توزيع القنوات العربية الحكومية والخاصة



الشكل -4- توزيع القنوات العربية المشفرة والمفتوحة (المنصف العياري:2006 ، ص20)

4- الفضايات العربية والاتّصال الجماهيري:

يطلق عليها وسائل الاتّصال الجماهيرية وكما يعرفها "بدوي": "هي الطرق التي يمكن بها إيصال فكرة أو رأي إلى عدد كبير من الأفراد المستقبليين المنتشرين في أماكن بعيدة ومتفرقة كالجرائد، والمذياع، والتلفاز والسّينما". كما تتضمّن الفيديو وكذلك الانترنت باعتبارها وسيلة اتصال حديثة أصبحت ضرورة من ضرورات التعلم، ولكنها تتضمّن مؤثرات أخرى كغيرها من وسائل الإعلام. (فتيحة بنت حسن القرشي: 2007، ص 5)

أضحت هذه الوسائل مظهرا من مظاهر التقدّم الحضاري وجسرا للتواصل بين الأفراد والجماعات ، فهي من أهمّ أدوات التنقيف في المجتمع حيث لها قوّة هائلة في التأثير على الرأي العام. إنّ تأثير وسائل الاتّصال على أطفالنا بات يفيض بمشاهد العنف والانحراف والجريمة ، وأنّ ما يقدّم لأطفالنا يبتعد في الكثير من مضامينه عن الانتماء الثقافي والقيمي والروحي لأطفالنا ، وتميل بعض وسائل الإعلام إلى إظهار المجرم أو المنحرف والشاذ في صورة بطل، الأمر الذي يجعل منه نموذجا حيا لأكثر من طفل (جابر نصر الدين: 2006، ص 145)

إنّ البثّ التلفزيوني يعدّ من أخطر وسائل الإعلام ، حيث يميّز بأنّ له قدرة عالية للتأثير على الأفراد الذين يتعرّضون لبرامج ذات التقنية والإبهار، كما أنه يجذب المشاهد ويشدّ انتباهه وبالتالي يزداد تأثره به وخاصة الأطفال والمراهقين ، كما أثبتت الدّراسات النفسية أنّ استغراق المشاهد في متابعة برامج التلفزيون لساعات متصلة يوهن عزيمته ويكسبه سلبية متزايدة على مرّ الأيام ويعظم ذلك الأثر في صغار السنّ . إنّ الانتشار السريع للقنوات الفضائية واحتدام المنافسة بينها في بثّ البرامج الترفيهية المبتذلة والتي لا تحمل أيّة مضامين مقبولة ، وتوسّعت تلك المحطات في الاهتمام بأهل الفنّ والغناء والتمثيل والرقص ونحو ذلك ، وقد أسهم هذا التوظيف السيئ للمواد الترفيهية في تسطيح ثقافة الأجيال وإفساد ذوقها الفنّي (محمد جاد أحمد: 2008، ص 101)

إنّ وسائل الإعلام في المجتمعات المتقدّمة تعدّ وسيلة أساسية لإعادة إنتاج النظام الاجتماعي السائد والمحافظة على القيم الحضارية للمجتمع ، ولها وظائف محدّدة يمكن حصرها في ثلاث أساسية وهي:

- التخفيف من حدّة الصّراع الاجتماعي داخل المجتمع والتقليل من أعراض الاغتراب.

- التقليل من شأن النظم الاجتماعية والاقتصادية البديلة للنظام السائد.

- التّحكم في الوعي القومي الاجتماعي بهدف صيانة القيم المهنية في المنظومة الثقافية

الاجتماعية، أمّا في المجتمعات العربية فإنّها تعمل معظمها على تكريس نظام الهيمنة الثقافية

العالمية الذي ينتج خارج إطار المنظومة الثقافية العربية، بل يتصادم مع الكثير من قيمها

ومبادئها (المهدي قصير: 2006، ص382)

إنّ وسائل الإعلام اليوم باتت تشكّل بيئة الطفل الفعلية ، صحيح أنّها بيئة مصنوعة

ومكيفة، ولكنها بالتحديد تعتبر أشدّ تأثيراً في شعور ولاشعور الطفل معاً من البيئة الطبيعية ،

وأقدر منها على تشكيل ذهنية وشخصية وصياغة إدارته وتوجيهها ، إنّ تربية الطّفل وتنشئته

على قيم مجتمعه كانت تتمّ من خلال الأسرة باعتبارها قناة حضارية واضحة ترسم معالم

حياة الطفل المستقبلية، وذلك بشكل متناسق مع الأعراف والمعايير الأخلاقية والدينية

والاجتماعية والممارسات السلوكية التي كان الطّفل يجد سهولة في استيعاب مضامينها

ورموزها وتمثلها بدون عناء كبير، أمّا اليوم فإنّ الأطفال يواجهون عدّة قنوات تنشئية ،

يصارعون من خلالها مجموعة متفرّقة من التحدّيات الثقافية المعقّدة والتي تعكس واقع

مجتمعاتهم المعاصرة من جرّاء الكم الهائل من الوسائط الاتصالية والإعلامية التي أصبحت

تحتل محلّ الخلايا التقليدية في توجيههم ، فطفل اليوم بدأ يفقد الكثير من الضروريات لتكوين

الرؤية السليمة لكلّ ما يحيط به من مواقف وقيم واتّجاهات ومعايير معقّدة وغريبة بل

متناقضة أحياناً، الأمر الذي جعله يفتقر إلى إمكانيات احتواء عناصر التوافق الاجتماعي

المطلوب وهذه المميّزات هي سمة عالمية (سطوطاح سميرة: 2006، صص 202- 303)

كما تقوم وسائل الإعلام بدور حيوي وفعال في تربية الأطفال وتنمية عقولهم وإثراء مداركهم وتفكيرهم ، كما تزدهر بالثقافة والمعرفة والوعي الاجتماعي إن أعدت بصورة سليمة ، لأن الإعداد الجيد للوسائل السمعية والبصرية يزيد من رغبة الأطفال لتلك الوسائل ومنها التلفاز الذي أصبح الوسيلة المألوفة لجميع أفراد العائلة لا سيّما الأطفال الذين يقضون جلّ أوقاتهم مع بعض البرامج التلفزيونية المشوّقة لهم والتي تؤثر على سلوكهم وقدراتهم العقلية بصورة مباشرة إيجابا وسلبا من خلال البرامج المتنوعة والمختلفة.

- تأثير وسائل الاتصال من خلال نظرية الغرس الثقافي:

ظهرت نظرية الغرس الثقافي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال السبعينات كأسلوب جديد لدراسة تأثير وسائل الإعلام على الجمهور ، وترجع أصول هذه النظرية إلى العالم الأمريكي "جولاج جربنر Geolage Gerbner" وتقوم هذه النظرية على فكرة أنّ وسائل الاتّصال ، وخاصة التلفزيون تشكل إدراكات الجماهير والعالم الحقيقي وبنائهم للواقع الاجتماعي من حولهم ، والأفراد الذين يشاهدون برامج التلفزيون بدرجة أكثر من غيرهم ، يختلف إدراكهم للواقع الاجتماعي عن الأفراد الذين يكون تعرّضهم أقل، ويرجع مصطلح الغرس الثقافي "Cultivassions" إلى العملية التي يتمّ من خلالها زرع صور معينة أو رموز الواقع الاجتماعي من خلال وسائل الاتصال .

ويرى "جربنر Gerbner" أنّ هذه النظرية تقوم على مجموعة من الفروض وهي:

- إنّ هناك علاقة بين كثافة التعرّض لمشاهدة التلفزيون خاصة واكتساب المعاني والمعتقدات والأفكار التي يقدّمها التلفزيون حتى وإن كانت بعيدة عن العالم الواقعي أو الحقيقي.
- هناك علاقة بين التعرّض للرسائل التلفزيونية ومعتقدات الجمهور وأنماط سلوكه.
- هناك تجانس بين الأفراد أو درجة الكثافة الواحدة وهو ما يطلق عليه "الاتّجاه السائد".
- كثافة المشاهدة تدعمها الخبرات الموجودة لدى المشاهد (محمود احمد مزيد: 2006 ، ص

ص 345- 346)

وتأتي نظرية الغرس على أساس الاعتراف بقوة وسائل الإعلام وأثرها الاجتماعي على المتلقين انطلاقاً من فرضية (التراكم) لقياس الآثار طويلة المدى التي تتركها وسائل الإعلام خاصة التلفزيون على المتلقين عند تعرّضهم لمضمون معيّن ولمدد تعرض طويلة ، وتلتقي هذه النظرية مع مدخل الاستخدامات والاشباعات من حيث التأثير على المتلقي من خلال المضمون المرئي (الذي يلبي حاجة ما عند المتلقي أولاً ومن ثمّ التأثير بهذا المضمون ثانياً ، إذ أنّ كلاً من مدخل الاستخدامات والاشباعات ونظرية (الغرس) يقومان على أساس التأثير على المتلقي وإحداث قناعات جديدة لديه من خلال (غرس) تصوّرات وقيم جديدة وفق ما يوحي به المضمون الملبي لحاجات الفرد المتلقي السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، ويمكن تعريف (الغرس) على أنه زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية من خلال التّعرّض لوسائل الإعلام ، وقد أصبح مصطلح (الغرس) يرتبط منذ الستينيات بالنظرية التي تحاول تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون الذي يقدّم عالماً متماثلاً من الرّسائل الموحّدة والصّور المتكرّرة إلى الحدّ الذي يعتبر معه المشاهدون أنّ الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يصوّر بها من خلال التلفزيون ، كما أنّ هناك ارتباطاً قوياً بين حجم المشاهدة ومعتقدات المشاهدين حول الواقع الاجتماعي بحيث تتشابه إدراكات كثيفة للمشاهدة ، وفي هذه الحالة يظهر المشاهدون إدراكات ترتبط بعالم التلفزيون أكثر من ارتباطها بالواقع الاجتماعي . وتؤكد نظرية الغرس ميل العينة كثيفة المشاهدة إلى تبني المعتقدات التي تعرّض من خلال التلفزيون عن العالم الواقعي أكثر من العينة منخفضة المشاهدة . (حسن علوان:2007- 200 ، ص 33)

كما حدّد " كاتز Catz " و " جوريفيتش Georivitch " حاجات الأفراد التي تحتاج إلى إشباع عن طريق استعمال وسائل الإعلام أو غيرها بأنّها :

1- **الحاجات المعرفية: Besoins Cognitifs** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة وفهم بيئتنا وهي تستند إلى الرغبة في فهم البيئة والسيطرة عليها وهي تشبع لدينا حب الاستطلاع والاكتشاف.

2. **الحاجات العاطفية: Besoins Affectif** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الخبرات الجمالية، والبهجة والعاطفة لدى الأفراد، ويعتبر السعي للحصول على البهجة والترفيه من الدوافع العامة التي يتم إشباعها عن طريق وسائل الإعلام.

3- **حاجات الاندماج الشخصي: Besoins Intégration Personnelle** هي الحاجات المرتبطة بتقوية شخصية الأفراد من حيث المصداقية، والثقة، والاستقرار، ومركز الفرد الاجتماعي، وتتبع هذه الحاجات من رغبة الأفراد في تحقيق الذات.

4- **حاجات الاندماج الاجتماعي: Besoins d.Intégrative Sociale** وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال بالعائلة والأصدقاء والعالم، وهي حاجات تنبع من رغبة الفرد للانتماء إلى الجماعة.

5- **الحاجات الهروبية Besoins Escamotables** وهي الحاجات المرتبطة برغبة الفرد في الهروب، وإزالة التوتر، والرغبة في تغيير المسار بعيداً عن الآخرين. وهذه المتغيرات يمكنها أن تشرح لنا استعمالات المرء لوسائل الإعلام منفرداً على أنه ليس مثل تعرضه لوسائل الإعلام مع الآخر (صالح خليل أبو أصبع: 1999، ص9)

وهذا ما يؤكد الباحث "مصطفى حجازي" أن التماهي بقيم المتسلط يتم دون عنف، بل من خلال رغبة الإنسان المقهور في الذوبان في عالم المتسلط، بالتقرب من أسلوبه الحياتي وتبني قيمه ومثله العليا، وهو يرى في ذلك التقرب وهذا التبني حلاً لمأزقه الوجودي وارتقائه إلى مرتبة ترضيه وتبث في نفسه الكبرياء، والواقع أن الإنسان المقهور، في هذا النوع من التماهي، هو ضحية عملية غسل دماغ مزمنة يقوم بها المتسلط (مصطفى حجازي: 2005، ص133).

ثالثاً: الفضايات العربية وقيم الطفل.

1- الفضايات والطفل العربي:

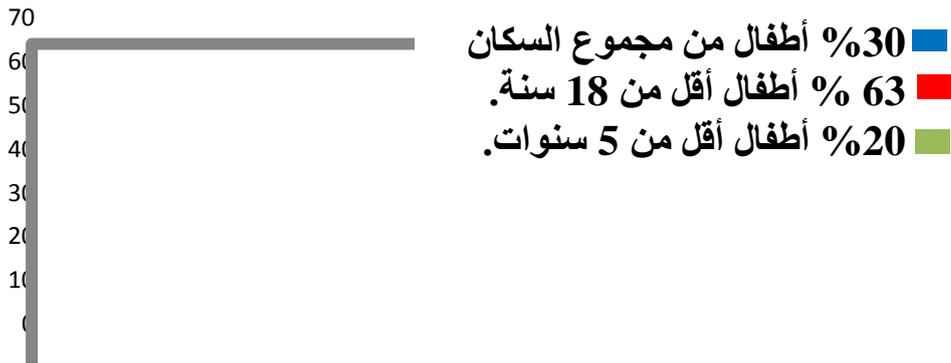
تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان من الناحية التكوينية ، سواء من حيث الحياة النفسية ، أو فيما يخص اكتساب المهارات المعرفية ، أين يخضع الطفل إلى عمليات تنظيم الوظائف والقدرات الكامنة لديه ليصبح مهياً للاستجابة لبيئته والتأقلم معها ونظراً للأهمية البالغة لهذه المرحلة لما تمثله من دور جوهري في المجتمع مستقبلاً ، يعني بإعدادها إعداداً سليماً يتمشى وتطورات المجتمع الراهنة بل والمستجدات العصرية ، غير أن إعداد الطفل للتداعيات المستقبلية ، بتهيئته للتطور العلمي والتكنولوجي المعاصر يستدعي دفعة من التجهيز العلمي الذي يعمل على تنمية وتطوير ما يولد الفرد مزود به.

(جبالى:2006،ص 129).

ويرى "بياجه" Piaget "أن مفاهيم الطفل في هذه المرحلة تتميز بالبساطة وعدم الثبات ، فالطفل هذه المرحلة لا يمكنه إدراك العلاقات بين الأشياء والأحداث أو استخدام المنطق في التعبير عن الموقف ، فالطفل يفسر الموقف الجديد عادة في ضوء ما اكتسبه من خبرات سابقة شكّلت بنيته المعرفية، ويصدر أحكامه على الأشياء عن طريق الانطباع (سميرة احمد السيد:1986،ص 185)

وتحضى الطفولة باهتمام شديد من مختلف الأمم والشعوب سواء في تاريخها السحيق أو حاضرها المعاصر ، وذلك ينبع من أهمية الطفولة وضرورة بثّ القيم في نفوسها، ويحصل الطفل على القيم من خلال الأسرة ووسائل الإعلام والمدرسة ، فالأسرة مثلاً قد تعتمد إلى أساليب الإنابة والعقاب وتأديب الطفل وذلك بإثابته على حسن سلوكه بما يتمشى مع قيمها ، فهي تدعم السلوك الذي يتمشى مع القيم الأساسية التي تدين بها وتمنع السلوك الذي يتعارض معها ، فالقيم لها دور هام في تنشئة الطفل اجتماعياً وبناء شخصيته الاجتماعية والإنسانية(إسماعيل عبد الفتاح: 2001،ص 35) .

وفي دراسة أصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية ، حذّر من أن برامج الرسوم المتحركة المستوردة تؤثر سلبا عن الأطفال ، وعلّل المجلس ذلك بأنها لا تعكس الواقع ولا القيم العربية ، على اعتبار أنّ هذه البرامج تأتي حاملة لقيم البلاد التي أنتجتها وتعكس ثقافتها، ولا يخفى على أحد أنّ الاستثمار الحقيقي والمنتج يكمن أساسا في التكفل والرعاية المستمرة للفرد في مختلف الأصعدة وبخاصة في مرحلة الطفولة ، فالطفولة تمثل ثلثي عدد سكان الجزائر حيث تشير آخر الإحصائيات لسنة 2004 أنّ عدد الأطفال بلغ 9 ملايين و600 ألف ، أي ما نسبته 30% من مجموع السكان ، كما يمثل الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة 63% ، فيما تتجاوز نسبة هؤلاء ممن تقل أعمارهم عن الخمس سنوات 20% (نصرالدين جابر: 2006، ص 139).



الشكل (5) نسبة الطفولة في المجتمع الجزائري

إنّ ما يتلقاه الطفل من عادات وقيم وأفكار غريبة عن بيئته وثقافته التي يعيش فيها ، حيث يتعامل معها ببراءة فتنموا لديه دوافع نفسية متناقضة ، بين ما يتلقاه على شاشة التلفزيون ، وما يعيشه داخل الأسرة والبيئة والمجتمع ، فيكون بداية الانحراف والوعي غير السوي، فيتفاعل معها بتلقائية ويسير في نسقها ، حتى يصبح من الصّعب التّخلص كلياً أو جزئياً من أثارها السلبية (ريان سليم بدر: 2007، ص 49)

وقد تشكّل بفضل الاتّصال التلفزيوني الفضائي ، جو جديد يحيط بالإنسان العربي ويؤلف هذا الجو قوة سياسية واجتماعية ونفسية ، ولهذه القوة مداخلة في السلوك. وتعدّ

الطفولة هي المرحلة الوحيدة التي تتميز بالحد الأدنى من مقاومة المدخلات والمؤثرات الخارجية من البيئة الاجتماعية ، أو بالأحرى تتزايد تدريجياً، قدرته على الانتقاء والاختزال والتعديل والرفض لهذه المؤثرات، إنَّ التأثير والتأثر يصبحان عملية أكثر تعقيداً، ويكون الفرد فيها باطراد فاعلاً أكثر من مفعولاً به، وأصبح لهذا البثّ الفضائي عدد من المؤشرات منها:

- أصبح تعرّض الأطفال للقنوات الفضائية الوافدة متاحاً بصورة مباشرة أو شبه مباشرة ، ممّا فوت على أجهزة التخطيط في الهيئات التلفزيونية العربية فرص الانتقاء والاستبعاد إذ تتاح اليوم للأطفال العرب فرص جديدة في التعرّض للقنوات العابرة للحدود ، هي تستخدم العربية لغة ، وتوفّر فرص التعرّض على مدار اليوم دون المرور بأيّ رقيب.
- بفضل تعدّد القنوات التلفزيونية أصبحت أمام الأطفال فرص واسعة للتعرّض للقنوات الواصلة والتنقل بين القنوات حسب مشيئتهم واختيارهم.
- إنّ نوع المعاني والمشاعر التي تتضمنها الرّسائل التلفزيونية الواصلة عبر السوائل توفّر في صياغتها وطرق تقديمها عوامل التشويق والجاذبية ، فضلاً عن الإثارة في الموضوعات. إنّ قدرة التلفزيون في الاستحواذ على عقول الأطفال العرب وعواطفهم قد بدأت تتعاضم بوتيرة عالية غير مسبوقة بالنسبة للمؤثرات الثقافية في تنشئة الأطفال ، كما تفصح الأرقام على ذلك(هادي نعمان الهيتي:2008 ، صص 109-110)

وقد يستهين البعض بما تقدّمه أفلام الرسوم المتحرّكة من مشاهد ترتبط فيها شخصياتها بالسلوك الإجرامي، على اعتبار أنّ الطّفّل يتعامل مع ما يراه على أنه نوع من اللّهُو والترفيه. ولكن العديد من الدراسات قد توصّلت إلى أنّ الأطفال ، في إطار من التوحّد والتقمّص الوجداني مع الشخصيات التي يفضّلونها ، لا يستطيعون بسهولة التفريق بين الخيال والواقع ومن هنا يقع الطّفّل فريسة لما يقدم له ، إنّ استمرار مشاهدة الأطفال لأفلام العنف التي تستخدم فيها الأسلحة النارية أو أدوات القتل أو الأيدي لابدّ وأن تترك أثراً مختزناً لدى هؤلاء الأطفال وتنمي لديهم بعض المشاعر العدوانية(عصام نصر سليم:1997 ، صص12).

2- التنشئة الاجتماعية والبث الفضائي:

إنّ التنشئة الاجتماعية هي عملية يتمّ من خلالها تشرب الأفراد ثقافتهم بما تحويه من قيم وعادات وتقاليد وأعراف ، وهي عملية يتعلّم الفرد من خلالها أنماطا معينة من السلوك الاجتماعي ، إنّ الاستخدام الخاطئ لوسائل الإعلام في وطننا العربي انعكست أخطاره وأثاره السلبية على الأبناء وتنشئتهم الاجتماعية (محمد جاد احمد: 2008، 101ص)

إنّ التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلّم وتعليم وتربية ، وهي تقوم على أساس من التفاعل الاجتماعي بهدف اكتساب الشخص سلوكا واتجاهات تتناسب والأدوار الاجتماعية بما يمكنه من مسايرة جماعته وبما يحقق التوافق الاجتماعي معها ، ويسهّل له الاندماج في الحياة الاجتماعية ، ويأتي التركيز عليها لكونها عملية مهمّة في تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وتحوّله من كائن اجتماعي وتكسبه صفة الإنسانية ، ممّا يستدعي مواجهة العوامل التي تعرقل هذه العملية.

ويأتي الاستخدام السلبي لوسائل الإعلام بآثار غير مرغوب فيها ، وتتسم بالخطورة إذا لم يرفقها شرح وتفسير ، إذ أنّ الطفل يوضع تحت تأثير المحاكاة والتقليد والاستهواء إذا لم يكن هناك نوع من التفسير للطفل حيث يساعده ذلك على القيام بمهمّة التقييم العقلي لما يشاهده ، ولابد من وجود وسيلة للضبط والتحكّم ، وعوامل للاختيار والتحديد ولا يكون ذلك إلاّ من خلال ما يدعى "حارس البوابة الإعلامية" (عصام نصر سليم: 1997، ص18)

وبما أنّ التنشئة الاجتماعية هي الطريقة التي يستقي منها الطفل معلوماته عن ثقافته ومنه يتبنّى سلوك الجماعة وقيمها ، وهي عملية مستمرة مدى الحياة فإنّ مرحلة الطفولة تعتبر من أهمّ المراحل التي يمرّ بها الإنسان ، كما تعدّ نقطة الارتكاز في المراحل اللاحقة، فالطفل في هذه المرحلة يتأثر بالآخرين في بناء شخصيته وتكوين معارفه واتجاهاته واندماجه في البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، كما تظهر لديه القوى والدوافع الأولية والقدرات والاستعدادات المختلفة من بدنية وعقلية ووجدانية(علي لونيس: 2006، ص 10)

إنّ التنشئة الاجتماعية تخضع لقالب القيم والثقافة السائدة في المجتمع ، حيث يربّي الأطفال وينشئون تبعاً للتقاليد والقيم التي يودّ الآباء، أو من يقومون بمسؤوليتهم، تلقيناً لأبنائهم، ويحرصون على ذلك (محمد احمد بيومي:2002،ص283)

لا يستبدل التلفزيون باللقاء والتفاعل مع الناس الحقيقيين في ظرف واقعي، ولا يمكن تنمية ثقة الطفل بنفسه في غياب الاتصال مع الآخرين، ولا يمكن للطفل ممارسة كسب العلاقة مع الآخرين وبناء حلّ المشكلة الشخصية من خلال المشاهدة، إلاّ بعد من ذلك، معظم المشاكل في التلفزيون تحلّ ببساطة شديدة، أشرنا إلى أنّ اللعب والنشاط العضلي (وكثرة الحركة) من ميزات الطفولة المبكرة، واللعب يحقق مجموعة من الإشباعات العاطفية حيث يتفاعل الطفل مع أقرانه، ويسدّ حاجته البدنية التي تحتاج إلى الحركة والنشاط اللذان يساعدان على النمو، ويحقّق اللعب كذلك حاجات عقلية ومعرفية باكتساب مهارات ولغة وتصوّرات وإدراكات جديدة في تفاعله مع الآخرين، فاللعب كما يرى "Piers" ينمّي الذكاء ويدمج طبيعتنا الثلاثية العقلية والبدنية والعاطفية ويهيئنا لتعليم أرقى، وأفكار خلاقة، وله دوره في تماسك البنیان الاجتماعي، ويساعدنا في التحضير ولأنّ نصبح والدين فاعلين حين يحين الوقت، إذا اللعب هو القوّة الكبيرة في المجتمع والحضارة، وإنّ هبوط القدرة في اللعب سيعكس نفسه في هبوط المجتمع ذاته، ويرى "Piers" بأنّ التّخريب الذي يصنعه التلفزيون له علاقة ضئيلة بمضمونه، إذ أنّ تخريبه عصبياً هو في الحقيقة قد خرّبنا، وقد يكون ذلك التّخريب أصعب من أن يتمّ إصلاحه، وذلك يظهر من خلال :

حينما تشاهد العائلة التلفزيون نادراً ما يلعب الوالدان مع أطفالهم فالجميع يجلسون حوله، وحتى أنّ اللعب بين الأشقاء اختفى، وهكذا فليس هناك إمكانية للعب ولتنمية خيال الأطفال داخلياً، ولعبة "النينتندو" لا يمكنها أن تحلّ محلّ اللعب الخلاق. (صالح خليل أبو أصبع:

1999،ص32)

ونتيجة تعقد الحياة الاجتماعية للأسرة أصبحت قدرتها في تزويد الطفل بكل ما يحتاجه في حياته محدودا لعدة اعتبارات ، فكان لزاما أن تلجا إلى مؤسسات أخرى تساعدها في انجاز مهمة التربية والتنقيف والتوجيه ، ومن بين هذه المؤسسات الفضائيات التي تستطيع أن تساعد الأسرة في توجيه الأطفال نحو المنهجية الحياتية الاجتماعية ، ونحو تعديل سلوكهم وتنقيفهم بما يكفل لهم الإعداد ، والتهيئة السليمة ، وزيادة المحصول اللغوي ، ومن ثمّ ازدياد قدرتهم على تقمص وتقليد الكبار في حياتهم الاجتماعية (عبد الفتاح أبو معال: 2006 ص125)

إنّ دور التلفزيون سواء كوسيلة ترفيه أم كناقل للمعلومات والأخبار، لا تحكمه مقاربة أحادية البعد؛ لأن إقبال الفرد على الترفيه تحدده دوافع نفسية واجتماعية متعدّدة، وحالة الاغتراب واللاتوازن التي باتت تميّز أفراد المجتمعات المعاصرة ، جعلت الرغبة في الترفيه تمثل هروبا من الواقع، وذلك لن يتأتّى إلاّ عن طريق ما يقدمه التلفزيون من برامج، كما أنّ هذا الإقبال تمثله متطلبات البيئة الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة(محمد مصطفى القباج:1997، ص19)

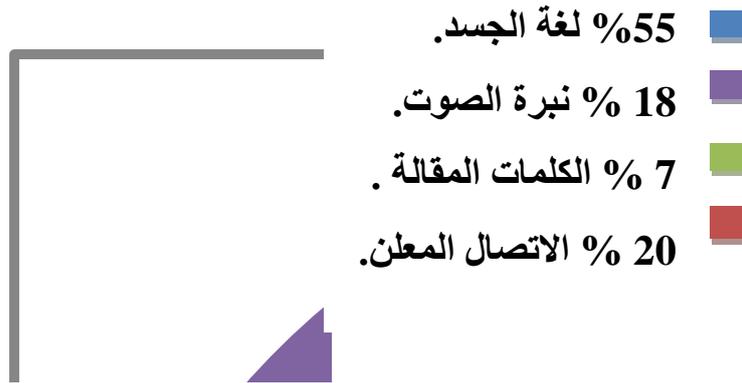
ويمكن أن تعمل وسائل الإعلام بصفة عامة والفضائيات بصفة خاصة على ترسيخ القيم على مستوى الأفراد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وفي نفس الوقت تربط هذه القيم بمتطلبات العصر وتقوم بإثرائها بعناصر القيم العالمية، إنّ التلفزيون يلعب دورا مهماً وأساسيا في التنشئة الاجتماعية ، وتغيير السلوك الاجتماعي ،لأنه يرتبط بالحياة البيئية ، فيكسب المشاهد المواقف والقيم والتقاليد والمعايير الاجتماعية) رحيمة الطيب عيساني (2008، ص115)

3-تأثير الفضائيات على القيم الاجتماعية للطفل:

من المعروف أنّ معدّل مشاهدة الطفل للتلفزيون تتراوح ما بين ساعتين وثلاث ساعات يوميا تبعا للسن، وأنّ سبب المشاهدة متنوع ويمكن حصره في ثلاث أسباب أكدها

"ولبرشرام Libershram" وزملائه في أوائل الستينات ، وهي التسلية والهروب من الواقع وتقوية العلاقات الاجتماعية ، لذلك فإننا عندما نتحدث عن تأثير التلفزيون نتحدث حقيقة عن كيفية استخدام الأطفال للتلفزيون ، فالطفل يسعى إليه من أجل إشباع حاجة ما لديه فيجد شيئاً ما هناك يستخدمه (فوزية عبد الله العلي: 2002، ص83)

هناك ما يعادل 55% مما نتعلمه من الآخرين يأتي من لغة الجسد و 18% يأتي من خلال نبرة الصوت و 7% يأتي من الكلمات التي تقال ، أي ما يعادل 80% تقريبا من الاتصال مع الآخرين يحكمها اللاشعور والرسائل الداخلية و 20% فقط يحكمها الاتصال الظاهر والمعلن من الآخرين (سعاد جبر سعيد: 2008، ص118)



الشكل (6) نسبة الاتصال مع الآخرين

وهناك مخاطر متعددة توجّه سلوك الأطفال وتبعده عن حقيقة واقعهم المعيشي، وتجعلهم يعيشون عالماً بل عوالم غريبة تزيد من اغترابهم عن ذواتهم ومنهم عن مجتمعهم، ولعل التأثير الفظيع للفضائيات ومختلف الوسائط الإعلامية الأخرى على سلوكيات وقيم الأفراد لأكبر دليل على خطورته على المنظومة القيمية (العمرى عيسات: 2006، ص169) وتقترن رغبة الطفل في البحث عن معلومات اجتماعية لاكتساب خبرات متنوعة من مصادر عديدة بتزايد نموه، لذا فإنه يتعدى حدود الوالدين ليتجه إلى مصادر أخرى مثل

التلفزيون في المجتمع ، والآن الطفل قابل للتأثر أكثر من غيره من أفراد المجتمع ، لذلك تزداد أهمية دراسة هذه العلاقة بين الطفل والتلفزيون (فوزية عبدالله العلي: 2002، ص74) إن غياب مرجعية قيمية خاصة بالطفل سوف يضطرّ الطفل إلى تكوين مرجعية بديلة يستلهم مقوماتها من البرامج التلفزيونية بالأساس لأنّ الطفل موضوع في حمّام إعلامي مستمر منذ ميلاده تغذيه تكنولوجيا الإعلام والاتصال (مونيك دنوند: 2003، ص10) إنّ الطفل لما يشاهد الرسوم المتحركة التي هي في غالبها من إنتاج الحضارة الغربية ، لا يشاهد عرضاً مسلياً يضحكه ويفرحه فحسب ، بل يشاهد عرضاً ينقل له نسقا ثقافيا متكاملًا ، فهذه الرّسوم وإن باتت بريئة إلاّ أنّها لا تخلو من تحيّر للثقافة الغربية ، وهي انعكاس لمنظومة قيمية كامنة وراء المنتج (ريان سليم بدر وعمار سالم الخزرج: 2007، ص151) كثير هي البرامج الفضائية تحمل العديد من القيم المختلفة في مضمونها عن قيمنا ، كما أنّها تتنافى مع قيمنا وعاداتنا ورغم ذلك فإنّ الكثير من الشباب الذي يشاهد هذه البرامج يتسرّب هذه القيم تحت شعار تقليد الغرب ، على سبيل المثال التقليد في الملبس ، وقصّات الشعر ، والاختلاط بين الجنسين وهذا التقليد يؤدّي إلى صراع قيمي بين ما يحمله الطفل وبين قيم الأسرة (محمد جاد احمد: 2008، ص105)

رغم وجود اختلاف ظاهر حول تأثير وسائل الإعلام وهذا ما يؤكده Jeannes Currant" بقوله :الاعتقاد بان وسائل الإعلام هي أجهزة تأثير هامة هو صحيح على العموم ،لكن الطرق التي تمارس بها وسائل الإعلام تأثيراتها معقدة ومشروطة " (جيمس كيرون: 2002، ص158) لقد بات واضحا أنّ المادة الإعلامية الموجهة للطفل أصبحت من أبرز الإنتاج الإعلامي العالمية ،حيث تسعى هذه المؤسسات الإعلامية من أجل استمالة عقل الطفل ، والسيطرة على تفكيره وتغيير قيمه الاجتماعية من خلال إطاره الحضاري أو من خلال الكوكبية .

خلاصة الفصل:

تعتبر فضائيات الطّف وسيلة مهمة للطفل من أجل إشباع حاجاته ورغباته ، فهو يرى عالما من الصّورة المتحرّكة والمناظر المختلفة والجذّابة والتي تساعده في اكتساب المعلومة والخبرة فليّن وسائل الإعلام أدركت هذه المرحلة الخطيرة من حياة الطفل فأصبحت تتجاذبه من كل ناحية لأنّها فترة ذهبية للعقل في تخزين المعلومة وهذا ما يترتّب عنه الأثر الكبير في تكوينه الذّهني والسلوكي في المستقبل .

وتعدّ مسألة جلوس الأطفال أمام الشاشات لوقت طويل واحدة من المشكلات التي تورق أذهان الآباء وفي كل المجتمعات ، لخطورة ما تبثّه هذه الفضائيات من برامج قد تتوافق مع قيم الطفل وقد تتعارض مما يحدث تأثيرات على نسيج العلاقات الاجتماعية عن طريق إحداث اضطراب وعدم استقرار ، حيث يبرز في الأنماط السلوكية الجديدة للأطفال .

ونقسم الباحثين بين من يبرز الدور الإيجابي للفضائيات مع المراقبة والترشيد لأنّها تساهم في نمو الطّف المعرفي واللغوي والذهني، وتلبي حاجات الطفل النفسية وتشبع حاجاته وميوله وغرائزه كحبّ الاستطلاع وكشف ما هو جديد وحبّ المنافسة والتطلّع إلى التّفوّق والنجاح ، وبين من يؤول إلى سلبياتها ويعتبرها تشكّل خطرا على قيم الطفل لأنّ محتوى البرامج التي تبثها لا تتفق مع ثقافة الطفل بل تعطيه قيما وتقاليدا جديدة تبرز نمط بيئة أخرى فيذوب انتماء الطّف فيها ويحدث اختراق ثقافي للمجتمع في المستقبل.